المحاضرة: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

أولا: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (22هـ-93هـ)

تمهيد:

تطلق عبارة الفتوحات الإسلامية على الحملات العسكرية التي قادها المسلمون لنشر الدين الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، وقد بدأت هاته الفتوحات منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان فتح مكة أول الفتوح الإسلامية تلاها نشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية.

بعد وفاة الرسول تم اختيار ومبايعة أبو بكر الصديق كأول خليفة راشدي، فخاض حروب الردة ضد بعض القبائل التي ارتدت عن دين الإسلام بعد وفاة الرسول الكريم، وبعد انتهاء هاته الفتنة واستتباب الامن في المنطقة سارع إلى ارسال الجيوش إلى الشام والعراق لمواجهة الروم والفرس، تحت قيادة خالد بن الوليد، وفي غضون سنوات تمكن المسلمون من فتح تلك المناطق وذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وهي نفس الفترة التي توجهت فيها جيوش المسلمين نحو مصر لفتحها بقيادة عمر بن العاص وكان ذلك سنة 22هـ، ليشرع بعدها المسلمون في فتح بلاد المغرب الإسلامي والتي كانت تحت سيطرة الروم البيزنطيين وبعض الزعامات المحلية.

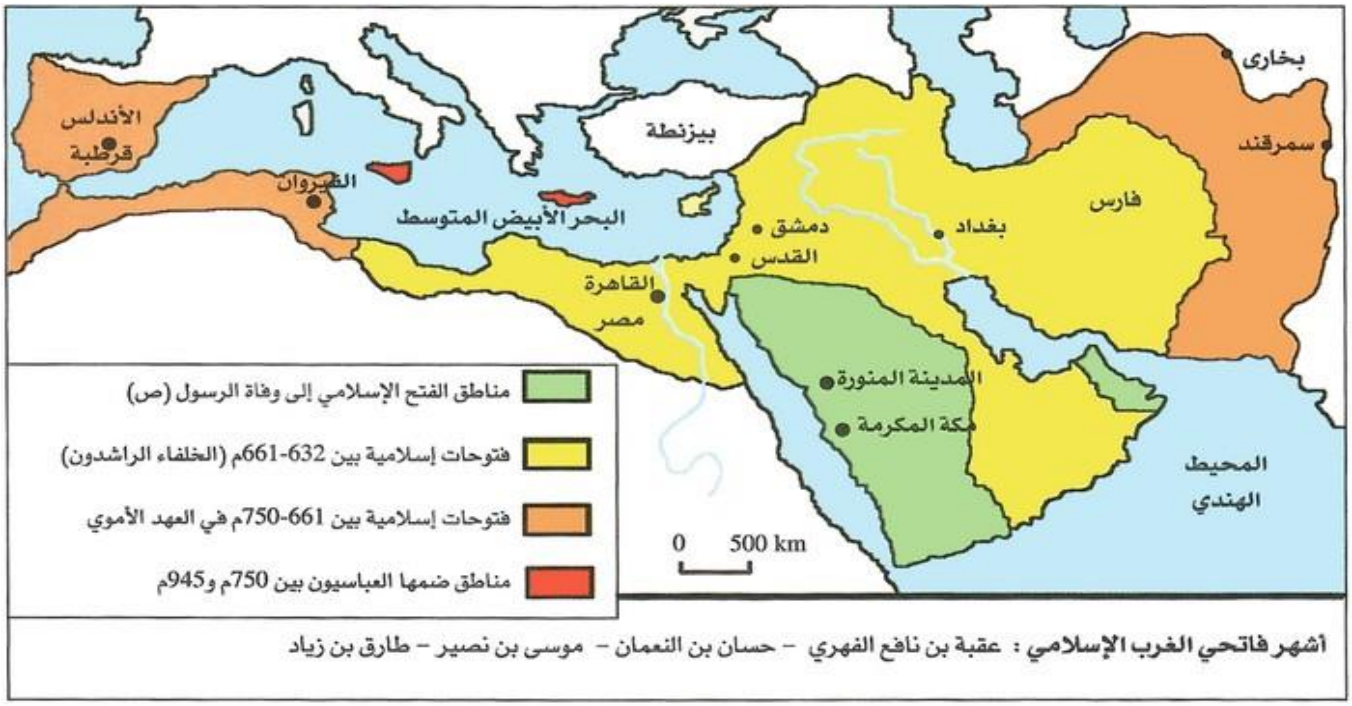

1-أسباب ودوافع الفتح:

- نشر الإسلام وهو الهدف الأسمى وغاية الفاتحين الأولى، كون الرسالة الإسلامية رسالة عالمية لا تختص بجغرافية بعينها.
- تامين الحدود الغربية للدولة الإسلامية وهو ما يعني التوسع نحو بلاد المغرب ومن بعدها الأندلس.
- تذمر سكان بلاد المغرب من البربر من الظلم والقهر المسلط عليهم من قبل الإدارة البيزنطية الحاكم.
- ضعف الحكم البيزنطي وعدم تقبله من طرف الأهالي مما جعلهم في تمرد مستدام ضده.
- انسجام غالبية المغاربة مع الفاتحين وقبولهم بالمشروع الإسلامي وهو ما جعلهم يتحولون إلى جنود فاتحين بل ومحاربين من اجل هذا المشروع.

2-مراحل الفتح:

مر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بمرحلتين هما:

أ- مرحلة الاستطلاع والاستكشاف

حملة عمر بن العاص 22هـ

- شرع المسلمون في فتح بلاد المغرب على يد عمرو بن العاص والي مصر سنة 22هـ/643م، بهدف تأمين حدود مصر الغربية من خطر الروم البيزنطيين الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى (إفريقية)
- فقام بعدة حملات عسكرية في مناطق برقة وطرابلس وزويلة، وقد تمكن من فتحها صلحا مقابل جزية سنوية يدفعونها للمسلمين، ومنهم من دخل الإسلام وأنظم إلى الجيوش الفاتحة.
- عاد بعدها إلى مصر بسبب عدم تلقيه الضوء الأخضر من الخليفة عمر بن الخطاب لفتح إفريقية.

حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح 27هـ

- كان والي مصر بعده، عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أكثر حظا منه، لتمكنه من الحصول على موافقة خليفة المسلمين الثالث، عثمان بن عفان فحظي بشرف إنجاز هذا المشروع الكبير .
- تمكن ابن سعد في تنفيذ مهمته تلك بمهارة فائقة حيث استطاع هزيمة البطريق جرجير وقتله ثم الاستيلاء على عاصمته سبيطلة لكنه عاد، في نهاية الأمر إلى مصر، مقر ولايته، بغنائم معتبرة، دون أن يترك من يمثله في إدارة تلك المنطقة التي انشغل عنها المسلمون بما عرف بالفتنة الكبرى .

حملة معاوية بن حديج 45هـ

– بعد مرحلة الانقطاع تعود الفتوحات إلى بلاد المغرب في فترة الخليفة الاموي معاوية بن ابي ســـفيان، وقد كلف واليه على مصر معاوية بن حديج بمهمة استكمال فتح بلاد المغرب

– ومن أهم النتائج التي حققها آنذاك، تصــديه للأســطول الذي أرســله الإمبراطور البيزنطي إلى إفريقية بقيادة، كما فتح مدينة جلولاء وحفر آبار خديج وبناء معسكر القرن.

– وعاد بعدئذ إلى مصر، بأمر من الخليفة معاوية بن أبي سفيان، الذي عينه واليا عليها في حين أسند ولاية إفريقية إلى عقبة بن نافع الفهري لتصبح بذلك ولاية إفريقية وبلاد المغرب مستقلة عن ولاية مصر.

ب– مرحلة الاستقرار والفتح المنظم

ولاية عقبة بن نافع الأولى (50هـ–55هـ)

– وهو صحابي بالمولد نشط في محور برقة – زويلة، منذ ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر (من سنة 20 إلى 25هـ) واستمرت إقامته هناك إلى سنة 50هـ، وآنذاك جاءه التعيين المشار إليه.

– فزحف غرباً على رأس عشرة آلاف رجل حتى منطقة قمونية، دون أن تعترضه صعوبات تذكر وشرع في تأسيس مدينة القيروان التي ستصير حاضرة إفريقية، لوقت طويل، واستغرقت عملية بنائه لها مدة خمس سنوات.

ولاية أبي مهاجر دينار(55هـ–62هـ)

– غزل بعدها عقبة بن نافع، وتولى مكانه أبي المهاجر دينار، مولى مســـلمة بن مخلد الأنصـــاري، الذي عين مكان معاوية بن خديج على ولاية مصر

– أمضى أبو المهاجر دينار على رأس ولاية إفريقية، مدة سبع سنوات، بدأها كما يتفق عليه المؤرخون بإساءة عزل عقبة والامتناع عن النزول في مدينته القيروان، بل راح يؤسس عوضاً عنها مدينة أخرى هي مدينة دكرور أو تكرور.

– قام بنشاطات عسكرية في ناحيتي قرطاجة وتلمسان، وهناك تمكن من أسر كسيلة بن لمزم، رئيس قبيلة أورية البربرية، فاعتنق الإسلام على يديه وقربه من نفسه فصار صديقا له .

ولاية عقبة بن نافع الثانية(62هـ–64هـ)

– لما عاد عقبة إلى إفريقية ليتولى أمرها، في عهد الخليفة يزيد بن معاوية، سنة 62هـــ، انتقم لنفسه من أبي المهاجر، وشمل انتقامه صديقه كسيلة واصطحبهما معه في حملته الكبرى التي وصل فيها إلى ساحل المحيط الأطلسي، مروراً بباغاية والزاب وتاهرت وطنجة والسوسين(الأدنى والأقصى).

– وفي طريق عودته من تلك الحملة تمكن كســـيلة من الإفلات منه في مكان ما غرب مدينة طبنة (بريكة حاليا)، بينما كان قد طلب من أغلب أصحابه مغادرة صفوفه إلى منازلهم بالقيروان .

– وبقي مع عدد لا يتجاوز الثلاثمائة عنصر، منهم أبو المهاجر، مما شجع من الروم والبربر، وعلى رأسهم كسيلة الذي استطاع، على ما يبدو تنظيم صفوف هؤلاء، وانتهز فرصة حلوله بمدينة تهودة فحاصره بها وقضى عليه وعلى جميع أصحابه بمن فيهم أبو المهاجر دينار صديقه وذلك سنة 64 هـ.

ولاية زهير بن قيس البلوي 65هـ-69هـ

– ما كان على زهير بن قيس البلوي، الذي سبق وأن استخلفه عقبة على القيروان عند انطلاق حملته بعد بلوغه خبر كارثة تهودة، سوى الانسحاب بالمسلمين إلى برقة، حيث بقي مرابطا فيها إلى أن هدأت الاضطرابات التي كان المشرق مسرحا لها، أيام الأمير مروان بن الحكم وابنه الخليفة عبد الملك بن مروان، وعندها أمده الملك بما كان يحتاجه من مال ورجال، وأمره بالزحف على كسيلة، الذي كان سيطر على بلاد المغرب دون أن يسيء إلى من عثر عليهم من المسلمين بالقيروان .

– وتقابل الرجلان في معركة حامية الوطيس بسهل ممس، أين تمكن زهير من هزيمة كسيلة وأصحابه وقتل كسيلة نفسه، وذلك سنة 69هـ.

– ثم ان زهيرا، بعدما طارد الفارين من المنهزمين وفتح بعض القلاع، عاد إلى المشرق، وترك الكثير منهم آمنين، لخلو البلاد من عدو ذي شوكة.

– لما علم الروم بزحفه على إفريقية، انتهزوا فرصة الفراغ الذي تركه في برقة وأخرجوا له أسطولا من جزيرة صقلية فأغاروا عليها، وقتلوا وسبوا الكثير من سكانها.

– ووافق هذا الأمر عودة زهير بعد انتهائه من مهمته، فحاول أن يتصدى لهم ولكن بدون جدوى، فقتلوه هو ومن كان معه من أصحابه، وبذلك حلت بالمسلمين كارثة شبيهة بكارثة تهودة .

– ورغم تأثر الخليفة عبد الملك بن مروان بخبر مقتل زهير وأصحابه، فإنه لم يستطع القيام برد الفعل المناسب، إلا بعد إخماد ثورة ابن الزبير وقتل زعيمها.

ولاية حسان بن النعمان (73هـ-85هـ)

– وعندئذ اختار لتلك المهمة حسان بن النعمان، وكان واليه على مصر، فوفر له الظروف المناسبة للانطلاق على رأس أكبر حملة زحفت على بلاد المغرب، حتى ذلك الوقت قوامها أربعون ألف رجل، وذلك سنة 74هـ.

– فكان أول ما قصده، بعد حلوله بالقيروان، مدينة قرطاجة، فاستولى عليها بدون كبير عناء، كما هزم المتحالفين من الروم والبربر في منطقتي صطفورة وبنزرت.

– قبل أن يعود إلى القيروان ويسير بعد ذلك إلى جبل أوراس لمواجهة الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة البربرية، لكن حظه هذه المرة كان سيئا، إذ كبدته تلك المرأة هزيمة نكراء، حيث قتلت وأسرت فيها الكثير من أصحابه ولاحقته حتى أخرجته من منطقة قابس.

– وصل حسان إلى برقة حيث أقام هناك، فيما سيعرف بقصور حسان، تنفيذاً لأوامر الخليفة عبد الملك بن مروان الذي لم يستطع تقديم العون له فوراً إلا بعد خمس سنوات، بسبب مشاكل الخلافة في المشرق مرة أخرى.

– سيطرت الكاهنة أثناها على بلاد المغرب، وراحت تحدث فراغا أمام المسلمين، بتخريبها وإزالة كل ما من شأنه في نظرها، أن يجذبهم من مدن وقرى ومحاصيل، فأضرت بمصالح الناس، من بربر وروم، وسخط على سياستها الكثير منهم .

–كان خالد بن يزيد، وهو أحد أسراها، في المعركة التي هزمت فيها حسان، والذي تبنته بعد إطلاق سراح زملائه الآخرين يزود حسانا بأخبارها.

– فلما وصلت الإمدادات والأوامر من الخليفة عبد الملك، للزحف عليها استفاد حسان مما يمكن الاستفادة به منها، وانضم إليه وهو في طريقه إليها الكثير من الساخطين عليها، وعلمت الكاهنة أنها مهزومة بل مقتولة لا محالة، فأرسلت إلى القائد العربي ابنيها وأخيهما بالرضاعة خالد بن يزيد، وقررت خوض المعركة اليائسة معه حفاظا على شرفها، فهزمت وقتلت فيها.

– قرب حسان ابني الكاهنة منه وجعلهما قائدين على من كان معه من البربر ومن انضموا إليه كرهائن في مقابل تأمين أقوامهم، وبلغ مجموع هؤلاء اثني عشر ألف شخص، جعل على كل ستة آلاف منهم إبنا من ابني الكاهنة وضمهم إلى صفوف جيشه، بعد إسلامهم، بطبيعة الحال، وراح يواصل عملية الفتح بهم دون أي تمييز بينهم وبين إخوانهم الآخرين في الدين في الحقوق والواجبات.

– عاد حسان بعد ذلك إلى القيروان لينطلق منها إلى قرطاجة عكس المرة الأولى، عندما علم بقيام الروم بغارة بحرية على مرسى رادس، فهزم أهلها وهرب من كان بها من الروم إلى صقلية والأندلس وخربها قبل أن يعود مرة أخرى إلى القيروان ليشرع في تنظيم إدارة البلاد التي استقامت أحوالها.

– شيد حسان مدينة تونس وحولها من قرية إلى قاعدة بحرية تقلع منها الأساطيل وأنشأ بها دار لصناعة الأسطول وبذلك أصبحت ميناء بحريا هاما، وشيد بها دارا للإمارة وثكنات للجند، كما بنى مسجدا هو اليوم جامع الزيتونة، و أمر حسان بتجديد المسجد الجامع بالقيروان، وكان ذلك سنة 84هـ.

-عمل على نشـــر الدين الإســـلامي بين البربر، ونشـــر اللغة العربية، ونجح في حشـــد أعداد هائلة من الســـكان رحبت بالإسلام، وصار البربر جزءا من جيش المسلمين.

-وفي سنة 85هـــ عزل حسان من طرف عبد العزيز بن مروان والي مصر، وكانت وفاته سنة 86هـــ بعد عودته إلى المشرق.

ولاية موسى بن نصير واستكمال فتح بلاد المغرب (85هـ-96هـ)

-بعد حسان تمت تولية موسى بن نصير خلفا له، وقد اتبع موسىبعد حلوله بالقيروان تكتيكا جديدا، يقوم على غزو العدو الأدنى قبل الأقصى عكس ما كان يفعله سابقوه.

-كما واصـل العمل بسـياسـة حسـان في تأمين القبائل في مختلف المناطق، مقابل احتجاز رهائن وضـمهم إلى صـفوف الجيش الإسلامي.

- وجمع أغلب هؤلاء في طنجة، وعين على رأســـهم أحد مواليه البربر هو طارق بن زياد، وكلف بعض العرب بتعليمهم الإسـلام في حين اسـتقر هو في القيروان، مما يعني أن دعائم الدين الجديد قد ثبتت في تلك المنطقة النائية عن عاصـمة الولاية.

- وهو دليل على أنها وطدت بشكل أكبر في المناطق الأقرب منها، وعلى إتمام عملية الفتح في بلاد المغرب بكاملها.

- توجت تلك العملية أخيرا، باجتياز طارق بن زياد البحر إلى شـــبه جزيرة إيبيريا (إســـبانيا والبرتغال) على رأس البربر، ومن كان معهم من العرب سـنة 92هـــ/711م، قصـد الشـروع في فتحها هي الأخرى، وهذا دليل آخر على أن المهمة الأولى- فتح بلاد المغرب- من مهام الجيش الإسلامي قد كللت بنجاح.

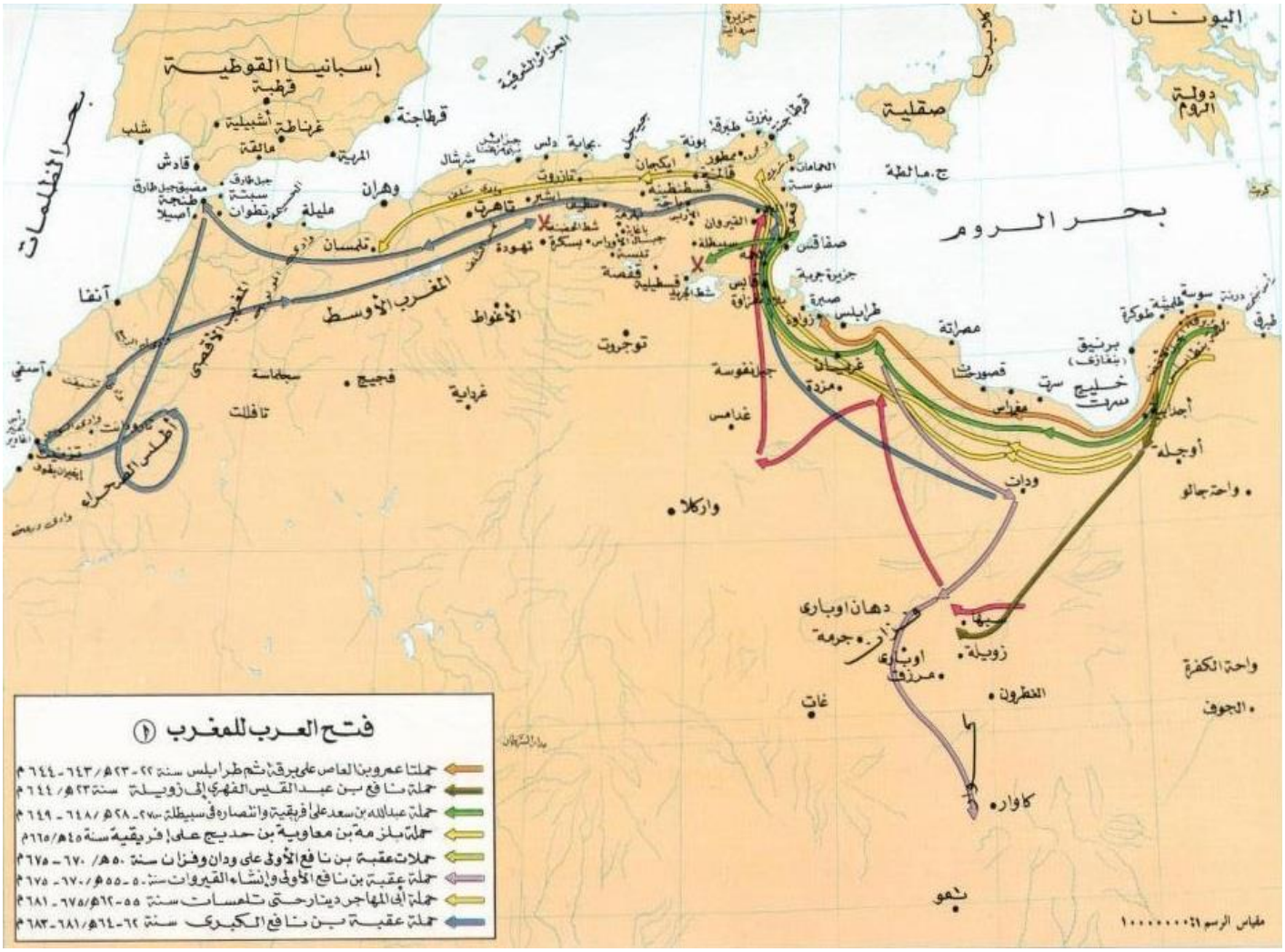

3-أسباب تأخر الفتح:

غير أن الملاحظ أن هذه الفتوحات لم تكن باليسيرة بل طال عمرها (71سنة) واستغرقت جهدا وإمكانيات وتضحيات جسام فما هي عراقيل الفتوحات وأسباب طول عمرها

– جهل الفاتحين بتضاريس بلاد المغرب ناهيك عن صعوبتها، كونها ذات طبيعة جبلية قاسية مما يصعب عملية الزحف والتوغل.

– انشغال المسلمين بالفتن والخلافات السياسية في مركز الخلافة الإسلامية مثل فتنة مقتل عثمان بن عفان والصراع الذي كان بين معاوية وعلي عقب ذلك، وهو الامر الذي عطل الفتح لسنوات طويلة.

– قلة أعداد المسلمين الفاتحين في بلاد المغرب مقارنة بمساحة البلاد الشاسعة وكثرة قبائلها، حيث بلغ عددهم في أكبر حملة لهم 40 ألف، وذلك في حملة حسان بن النعمان.

– بعد بلاد المغرب عن مركز الخلافة في المشرق، الامر الذي صعب عليهم الوصول إلى المنطقة وكذا حرمانهم من المدد في الوقت المناسب.

–عدم استيعاب الامازيغ معنى وعمق الرسالة الإسلامية إلا تدريجيا، فالفاتحين لم يكونوا أصحاب مشروع استعماري استغلالي كما كان الشأن مع الرومان و البيزنطيين مثلا.

– المقاومة البربرية والبيزنطية الشرسة التي أعاقت حركة الفتوحات.

– تأخر إقامة قاعدة إسلامية تكون مرتكزا لتوسيع النفوذ الإسلامي في بقية المناطق المغربية، إلى غاية بناء القيروان سنة 55هـ.

4–النتائج المترتبة على الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

– دخول البربر في الإسلام.

– نشر اللغة العربية بين السكان المحليين.

– إتساع رقعة الدولة الإسلامية

– تأمين الحدود الغربية لدولة الإسلامية من خطر الروم البيزنطيين.

– التمهيد لفتح الاندلس والذي تم مباشرة بعد فتح بلاد المغرب وذلك سنة 96هـ.

محاضرة الثامنة: مرحلة الولاة في بلاد المغرب الإسلامي

1-تعريف عصر الولاة :

يطلق مصـطلح عصـر الولاة في بلاد المغرب على الفترة الزمنية التي أعقبت انتهاء الفتوحات العسـكرية في المنطقة إلى غاية قيام أول الدويلات المستقلة عن السلطة المركزية (الخلافة) في المشرق.

وقد انقسمت بلاد المغرب في عصر الولاة بعد تمام الفتح إلى أربعة أقاليم وهي:

- إفريقية: يضم هذا الإقليم جغرافيا الاجزاء الغربية لدولة ليبيا وتونس، ويعرف أيضا بالمغرب الأدنى.
- المغرب الأوسط: ويشمل بشكل تقريبي الحدود الحالية للجزائر، أي من مدينة عنابة شرقا إلى تلمسان غربا.
- المغرب الأقصى: يمثل حاليا المملكة المغربية وتبدأ حدوده من مدينة وجدة إلى غاية المحيط الأطلسي.

وتختلف بداية ونهاية مرحلة الولاة من إقليم إلى إقليم وذلك باختلاف سـنة الفتح وكذا قيام الدويلات المسـتقلة التي نشأت في كل رقعة من بلاد المغرب، ففي إفريقية بدأ عصر الولاة من إنشاء القيروان، سنة 50هـ/670م، إلى قيام دولة الأغالبة 184هـ/800م، أما بالنسبة للمغرب الأوسط فيبدأ من حوالي سنة 85هـ/704م، ويستمر حتى 164هـ/781م، أي سنة قيام الدولة الرستمية، وكذلك بالنسبة للمغرب الأقصى، فيبدا عصر الولاة حوالي سنة 90هـ/709م، وهي السنة التي أنشأ فيها موسى بن نصير ولايتي المغرب الأقصى وسجلماسة، وينتهى سنة 172هـ/788م، وهي السنة التي قامت فيها دولة الأدارسة.

2-الولاة وأهم أعمالهم

مر عصر الولاة بلاد المغرب بثلاث مراحل مختلفة وتمثلت في:

أ-مرحلة الاستقرار: تميزت هذه المرحلة بالهدوء والاستقرار وذلك بسبب السياسة التي كان ينتهجها ولاة هذه الفترة خاصة في المساواة بين العرب والبربر، وقد عرفت هذه الرحلة عدة ولاة نذكر منهم :عبد الله بن موسى(96هـ-97هـ) ومحمد بن يزيد القرشي(97-100هـ) ثم إسماعيل بن عبيد الله(100-101هـ) وكذلك يزيد بن أبي مسلم(102-103هـ) وأخيرا بشر بن صفوان (103-109 هـ).

ومن أهم الأعمال التي قاموا بها هؤلاء الولاة هي:

- نشر الإسلام بين القبائل البربرية، وقد اشتهر منهم إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار الذي ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد عرف عن هذا الوالي أنه كان يسعى إلى نشر الإسلام بين البربر وتعليمهم أركان الدين الإسلامي، وقد بعث معه الخليفة عشرة من التابعين الفقهاء من أهل العلم والفضل، فدخلت في تلك الفترة جموع البربر في الإسلام أفواجا.

غير أننا نستثني من هذه المرحلة فترة ولاية يزيد بن أبي مسلم (102- 103هـ) الذي قام بتغيير عام في سياسة الدولة، أي على خلاف سياسة التسامح واللين في الفترة التي سبقته، وبذلك عرفت الدولة الأموية انقلابا في سياستها، حيث سادت سياسة الشدة والعنف وقام أيضا باستبداد البربر وفرض عليهم الجزية، ولذلك اتفقوا على قتله وتجحوا في ذلك بعد شهر من ولايته.

ب -مرحلة اللاستقرار 105-125هـ: بعد فترة الاستقرار التي مر بها المغرب في عصر الولاة، شهدت البلاد حالة من الاضطرابات والتمردات والتي تبدأ من سنة 105هـ، وكانت بدايتها مع ولاية عبيدة بن عبد الرحمان، الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك، وكان ذات كفاءة إدارية عالية في ضبط الأمور لكنه كان عنيفا في سياسته، وقبل مغادرة ولايته قام بتعيين أحد أصحابه وهو عقبة بن قدامه على ولايته بإفريقية والمغرب، وكان هذا الأخير كذلك شديد في معاملته للبربر فقام بغزو قبائلهم وسبي نسائهم.

في سنة 116هـ تولى عبيد الله بن الحبحاب ولاية المغرب، الذي شهدت ولايته ظهور ثورات وتمردات للخوارج بسبب سوء تعامل واليه على المغرب الأقصى عمر بن عبد الله المرادي الذي أساء السيرة مع البربر، الأمر الذي لم يرتكبه عامل قبله، فكانت بذلك أول فتنة في المغرب الإسلامي، والتي تمثلت في خروج ميسرة المطغري على عمر بن عبد الله

المرادي حيث تمكن من هزيمته و قتله في موقعة الاشراف ، ثم تولى بعده كلثوم ابن عياض القشيري من123-124هـ، الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك بعد هزيمة العرب في موقعة "الأشراف ، غير أن كلثوم تعرض لهزيمة ساحقة من البربر وقتل في معركة بوقدورة هو ومعظم قادة جيشه.

ج -مرحلة السقوط :

كانت بداية هذه المرحلة مع الوالي حنظله بن صفوان (124-127هـ)، الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك على إفريقية والمغرب، وقد عمل هذا الوالي على القضاء على المتمردين من الخوارج، وقد تمكن حنظله من انتزاع النصر بعد على جيوش الخوارج وقتل قادتهم، وبعد هذه الانتصارات التي حققها حنظله خرج لإصلاح ما أفسده المتمردون ونظم إدارة البلاد .

بعده جاء عبد الرحمان بن حبيب على ولاية إفريقية سنة 127هـ، وقد عرفت فترته ضعف الخلافة الاموية وبداية نهايتها حتى كان سقوطها سنة 132هـ على يد العباسيين الذين أعلنوا قيام خلافتهم واتخذوا من بغداد عاصمة لهم، وقد استمروا هم كذلك في تعيين الولاة على بلاد المغرب كان من أبرزهم محمد بن الاشعث الذي كلفه الخليفة العباسي آنذاك أبو جعفر المنصور بالقضاء على ثورات الخوارج وبفضله تمكن العباسيون من استرجاع أجزاء واسعة من بلاد المغرب ، غير أنهم عجزوا على القضاء النهائي على ثورات الخوارج في المنطقة ما جعلهم يعينون أسرة الاغالبة على حكم إفريقية سنة 184هـ ، واعطوهم حكما ذاتيا في إطار التبعية لدولة الخلافة.

أخذ عصر الولاة الحيز الأكبر في التاريخ السياسي لبلاد المغرب، وامتد تأثيره إلى قرون من الزمن، فقد تناوب على حكم المغرب الإسلامي إلى قيام دولة الاغالبة 184 هـ ما يقارب 22 واليا، تباينت سياستهم مع البربر بين العدل والمساواة تارة و الشدة و التعسف تارة أخرى، خاصة عند انتشار الأفكار الخارجية التي غذت الفتن و الحروب بين دعاة هذه الأفكار وسلطة الولاة، لتدخل بعدها بلاد المغرب مرحلة جديدة اقتسمت فيها الدويلات المستقلة جغرافية بلاد المغرب

المحاضرة التاسعة: الدويلات المستقلة في المغرب الأوسط(الجزائر)

أولا: الدولة الرستمية (160هـ-296هـ)

1-تعريفها:

هي أول الدويلات الإسلامية التي استقلت بالمغرب الأوسط (الجزائر حاليا) عن الخلافة في المشرق زمن العباسيين، عرفت في التاريخ باسم الدولة الرستمية نسبة إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذي يعود نسبه إلى الفرس؛ وهي على مذهب الإباضية؛ ظهرت رسميا سنة سنة 160هـ/777م بمدينة تيهرت (تيارت حاليا)، وسقطت على يد أبي عبد الله الشيعي سنة 296 هـ/909م.

2-نشأة الدولة الرستمية:

ظهرت الدولة الرستمية في فترة حاسمة من تاريخ العالم الإسلامي وخاصة بلاد المغرب الإسلامي التي كانت مسرحا للعديد من الأحداث السياسية، فبعدما انفصل المغرب عن المشرق انقسم المغرب نفسه إلى دول مستقلة منفصلة عن بعضها البعض؛ وفي هذه الفترة الغنية بالأحداث ظهرت الدولة الرستمية كإحدى نتائج التحولات الكبرى التي عرفتها المنطقة؛ والمعلوم أن الإباضية لما وصولوا إلى المغرب استطاعوا أن ينشروا أفكارهم .

ولما اشتعلت الحرب في المغرب الأدنى اعتصم عبد الرحمن بن رستم بجبل يعرف بجبل شوفجج في منطقة تيهرت ، هو وجماعته الذين اتبعوه فرارا من محمد بن الأشعث الخزاعي قائد جيوش العباسيين الموجهة إلى المغرب؛ ولما وجدت هذه الفئة المكان الحصين قررت بناء مدينة تأويهم، وتأوي مذهبهم وطموحاتهم، فأسسوا مدينة تيهرت (تاهرت)، وبويع عبد الرحمن بن رستم إماماً لأول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط، وهكذا حقق عبد الرحمن حلم الإباضية بتأسيس دولة يكون مذهبها الرسمي المذهب الإباضي.

3-حدود وجغرافية الدولة الرستمية:

لم تعرف الدولة الرستمية حدودا ثابتة فقد كانت تتسع أحيانا وتتقلص أحيانا أخرى، وأما أقصى مد لها فهو ما بلغته خاصة في عهد الأئمة الثلاثة الأوائل إذ كانت الدولة تضم كافة المغرب الأوسط وأجزاء من المغرب الأدنى حيث كان يحدها شرقا سرت والدولة الأغلبية، وغربا تلمسان ونهر ملوية.

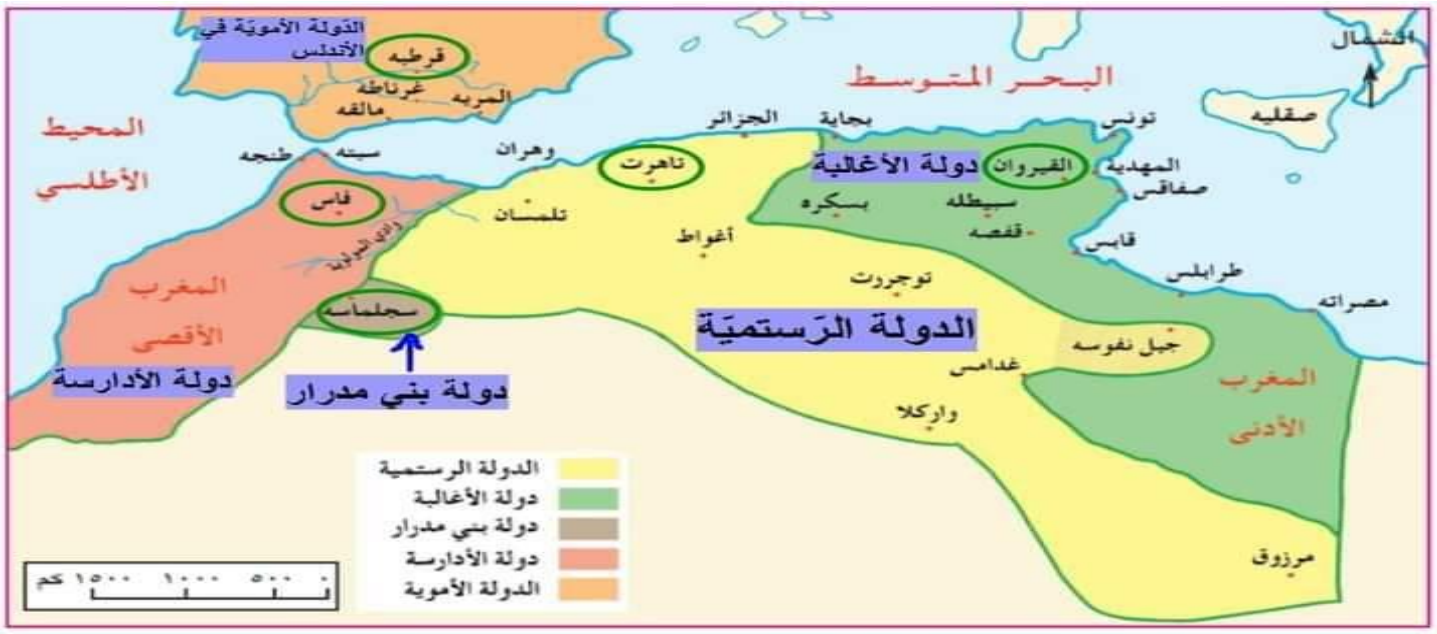

الدولة الرستمية والدول المجاورة لها

4- الأوضاع السياسية في الدولة الرستمية:

كان نظام حكم الإمامة القائم على مبدأ الشـــورى هو السائد في الدولة الرستمية وهو في الحقيقة نظام شبه وراثي لتوالى أبناء وأحفاد المؤسس عبد الرحمن بن رستم على الحكم- عدا آخر إمامين-.

وتميزت الأوضـاع السياسية للدولة الرستمية بالنشاط والحيوية والاستقرار والاضـطراب في أن واحد؛ واشـتهرت هذه الدولة بنظام الشـورى المطبق فيها، وبعدالة أئمتها، وصـــلاحهم وتقواهم وعلمهم، وبازدهارها، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسـلامية، وكانوا يمارسـون عبادتهم بكل حرية وأمان، وكانت لهم مسـاجدهم وبيوتهم الخاصـة التي يعيشون فيها مصانين الحقوق بعدل وإنصاف من غير تفريق بين مذهب ومذهب .

كما تخلل تلك الفترة الأمنة ثورات وحروب وفتن منها: فتنة ابن فندين وابن عرفة؛ وأدى التنافس على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة وانقسام أتباع المذهب الإباضي إلى سقوط الدولة بسهولة في يد أعدائها .

أئمة الدولة الرستمية: نجح عبد الرحمن بن رستم في توطيد دعائم دولته خلال الفترة التي قدر له أن يحكمها (144-168هـــ) وقد خلفه من بعده ابنه عبد الوهاب الذي بقى في حكم الدولة الرستمية عشرين سنة، ثم "أفلح بن عبد الوهاب" الذي حكم أكثر من خمسين عاما (188-238هـ)، ثم تتابع في حكم الدولة الرستمية خمسـة مـن الأمـراء، هـم: أبـوبكـر بن أفلح، وأبو اليقظان، فأبو حاتم، فيعقوب ابن أفلح، فاليقظان ابن أبي اليقظان آخر أمرائهم.

5-الأوضاع الاقتصادية

الزراعة: تمتاز جغرافية المغرب الأوسط بطبيعة فلاحية لذلك عرفت الدولة الرستمية زراعـــة متطورة ومزدهرة شملت مختلف أقاليمها التي كانت تكثر فيها البساتين وزراعــة الحبوب، والعصــفر والكتــان والسمسم والنخيل، ومختلف الفواكه، والتين والزيتون، فكانت تدر عليهم أرباحا طائلة، وقد كانت تكثر فيها الأنهار، وأقام الرســـتميون خزانات وأحواض للماء كبيرة وكانت محكمة التصـميم والهندسـة، ليحافظوا على الماء أيام الجفاف، بل إنهم أوصـلوا الماء إلى البيوت عن طريق الأنابيب وشـــق القنوات كما كانت تربية الماشـــية في الدولة الرســـتمية تقوم جنبا إلى جنب مع الزراعة، ولكثرة المراعي الخصبة في الدولة الرستمية كانوا يربون الغنم والبقر والجمال والخيول والبغال والحمير ، ، وكانت تجارتها رائجة، وتصدر إلى الدول المجاورة، وكانوا يستغلونها في إنتاج الصوف،

التجارة: اهتم الرستميون بالتجارة الداخلية والخارجية، فأنشئوا الأسواق في مختلف المدن التي كانت رائجة بشتى أنواع البضـائع والمؤن التي تأتي من داخل الدولة الرستمية نفسها أو من الدول الأخرى عن طريق العلاقات التجارية مع الكثير من الدول كالأندلس ومصـــر وبلاد الســـودان وغيرها من الدول في المشـــرق والمغرب، فكانت القوافل التجارية تخرج من الدولة الرســـتمية محملة بشـــتى أنواع البضـــائع والمؤن إلى تلك لدولة، وتعود كذلك محملة بالبضـــائع التي تنتج في تلك البلاد، وكانت تجارة الذهب وبيع الرقيق رائجة في ذلك الوقت، وللدولة الرستمية نشـاط كبير فيها، ووصـل نشـاط التجار في الدولة الرستمية إلى حد أنه كان يوجد بها التخصص في الأسواق، فكان بهـا سـوق النحاس، وسـوق الأسلحة، وسـوق الصاغة، وسوق الأقمشة وغيرها من الأسواق .

6-الحياة الفكرية في الدولة الرستمية: كان للرستميين دور بارز في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط خاصة ولا نبالغ إذ قلنا بالمغرب الإســـلامي، فقد حملت هذه الدولة مشـــعلا عظيما للحضـــارة والعلم في الشـــمال الإفريقي وقد اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فـــنـــون العلم والآثار ومن مكتباتها المشهورة مكتبة " المعصومة " التي كانت تحـوي آلاف المجلدات والكتب، أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثمائة ألـف مجلد، فكانت تحـوي بين رفوفها كتبا في علوم الشـريعة من تفسـير وحديث وفقه وتوحيد، وكتبا في الطب والرياضـيات والهندسـة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة، ولم تكن كتبها مقتصرة على مذهب بعينه بل كانت تجمع مؤلفات لمختلف المذاهب الإسلامية.

المحاضرة العاشرة: الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (296هـ-361هـ)

1-التعريف بالدولة الفاطمية:

سميت بالدولة الفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسمى كذلك بالدولة العبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله المهدي، وقد حكم الفاطميون ما يقارب المئتين وسبعين عامًا، أي من عام 297هجرية حتّى عام 567هجرية، وقد كان السند الرئيس للفاطميين في دعوتهم هو أنّهم من آل البيت النبوي، من أحفاد فاطمة الزهراء، ولهم الحق كلّه في حكم المسلمين.

2-بداية الدعوة الشيعية الفاطمية في بلاد المغرب

- تعود الدعوة الشيعية في بلاد المغرب إلى حدود سنة 145هـ/762م وذلك في وقت كان فيه ابن الاشعث يحاول ضبط افريقية وإخماد حركة الخوارج، حيث وصل الداعيان أبو سفيان والحلواني إلى المنطقة.

- ساهم الداعيان في تهيئة الظروف وتوفير المناخ المناسب للداعي الشيعي وهو أبو عبد الله الشيعي الذي سيدخل بلاد المغرب في حدود سنة 280هـ/893م.

- استغل هذا الاخير موسم الحج لبلوغ غايته، حيث التقى بالحجاج المغاربة وتمكن من مرافقتهم واستطاع منهم التعرف على أوضاع البلد، وادعى أنه يريد الاتجاه الى مصر ومع اصرار الكتاميين قبل الذهاب معهم لبلدهم.

– يتجه فيما بعد إلى بلاد كتامة وبالضبط ايكجان (بين سطيف وميلة) ، وكان الوضع العام ببلاد المغرب الأغالبة في افريقية والرستميون في تاهرت والأدارسة في فاس، وقد تم اختيار بلاد كتامة لبعدها وحصانتها.

– الدعوة اخذت طابع التدرج وتشكيل نواة أولى من المخلصين والتابعين وسرعان ما صنع أبو عبد الله جماعة اسماعيلية كتامية في ايكجان وناحيتها، وأخذ في التحول إلى زعيم سياسي له حماية ودعم من القبائل التي وقفت ضد عامل ميلة ورفضت تسليمه.

– في الحقيقة المرحلة التي ظهر فيها الشيعي كانت فيها الدولة الأغلبية مشغولة ببعض القضايا الأمنية الخطيرة في الناحية الشرقية ولم تتدخل رسميا إلا في حدود 289هـ/902م ، حيث وجهت أول حملة عسكرية لمواجهة الداعي.

– في مرحلة متقدمة قام ابو عبد الله الداعي بتوحيد قبائل كتامة عبر الدعوة وبالنسبة للقبائل التي لم تعترف به فقد دخل معها في حروب ومكائد انتهت بانضوائهم تحت لوائه وذلك سنة 287هـ

– في مرحلة ثانية وبعد توحيد المجال الكتامي الممتد من سيطف وميلة إلى جبال بابور وبلزمة تم فتح ميلة ثم التوجه للحرب ضد الأغالبة والتوسع على مجالاتهم وبدا الصدام منذ 290هـ ، وقد ساهم في هزيمة الأغالبة تلك الصراعات الحامية حول السلطة داخل الاسرة الحاكمة ،مما فتح الباب امام الداعي للتوسع ففتح سطيف سنة 293هـ ثم طبنة ثم بلزمة عبد سنة 296هـ ثم باغاية سنة 294هـ ثم اتجهت الحملات الشيعية نحو إفريقية .هـ

– سرعان ما انهزم الأغالبة ولم يكن لزيادة الله الثالث من حل سوى الهرب تحت جمح الظلام نحو المشرق فقد توجه الى بيت المقدس وبها توفي سنة 299هـ .هـ

– اتجه الشيعي نحو القيروان ورقادة ودخلهما في رجب 296هـ/مارس 909م وبالتالي سقطت دولة الأغالبة رسميا.

– بعد السيطرة على القيروان توجه الداعي إلى سجلماسة لنقل المهدي عبيد الله ليسلمه حكم المغرب وفي طريقه أسقط دولة الرستميين وقتل العائلة الحاكمة، ووصل إلى سجلماسة وأخضعها وخرج المهدي من السجن ثم اتجهوا نحو افريقية ودخلها سنة 297هـ.

3– الدولة الفاطمية وخلفائها ببلاد المغرب

وقد عرفت الدولة الفاطمية في طورها المغربي أربعة خلفاء وهم:

–عبيد الله المهدي 297–322هـ:

–عرف عهده عدة أحداث منها ثورة بقايا الأغالبة في القصر القديم والقيروان وأرسل حملات تهدئة نحو المغرب الأوسط خصوصا ضد زناتة في تاهرت وضواحيها سنة 299هـ، ثم إلى بلاد كتامة وقد تجمعوا ضده بعد مقتل ابي عبد الله وفشل خطتهم في الانقلاب على المهدي، وكان ذلك في حدود سنة 300هـ، ثم أخمد حركة هوارة في طرابلس 303هـ،

– كما تمكن من التحكم في صقلية بعد ثورة فاشلة ومحاولة انفصال واعلان التبعية للخلافة العباسية وذلك سنة 304 هـ

– في زمنه تم توجيه عدة حملات نحو مصر أولها سنة 301–302هـ/914–915م، وهي حملة فاشلة ثم الحملة الثانية سنة 307هـ/919م وقد فشلت هي الأخرى امام القائد مصر العباسي مؤنس الخادم.

القائم بأمر الله 322–334 هـ .

– استمر في سياسة الاخضاع والحملات فوجه الأسطول نحو البحار (جنوة والأندلس) كما وجه حملات نحو المغرب الاقصى 323هـ ونحو مصر

– مواجهة ثورات الخوارج مثل قسطيلية 323هـ بقيادة أبي يزيد صاحب الحمار.

– انطلقت هذه الثورة من جبال أوراس قرب باغاية ثم شملت النواحي القريبة منها شرقها وجنوبها الشرقي ووصلت إلى قسنطينة (بنو واسين من بني يفرن) ثم تبسة (بني كيداس) وامتد توسعه إلى مرماجنة وبالتالي وصل مجالات افريقية وهناك اهداه رجل حمار فلقب بصاحب الحمار، وتمكن من التقدم إلى الأربس ثم باجة ثم القيروان واصبحت المهدية مهددة

– تفرق المقاتلين عن ابي يزيد بسبب الهزائم وطول الحرب وفشل في العديد من المعارك ولم يستطع اقتحام العاصمة المهدية لكن لم تنته الثورة وقد توفي القائم بأمر الله وترك الحكم لابنه اسماعيل .

اسماعيل المنصور 334–341هـ

– تميزت مرحلته بالجدية التامة في التسيير فقد باشر بنفسه رئاسة الجيش وتتبع ثورة ابي يزيد في لمناطق الغربية من افريقية حيث تجول في الزاب وتاهرت ولاحق خصومه بقوة وتمكن في ظرف 15 شهر من القضاء على الثورة الاباضية نهائيا.

- قتل ابي يزيد سنة 336هـــ وسلخ جلده وحشي بالتبن ونقل إلى المهدية وبالتالي تم إخماد الثورة الخارجية نهائيا وعاد المنصـور إلى عاصـمته بعد ان أمن المغرب الأوسـط كله، أعطى اوامره بنقل 14 ألف عائلة من كتامة نحو المنصـورية لتعميرها.

- الخليفة المعز لدين الله 341-362هـ

- تمكن الخليفة المعز من تهدئة الأوضاع نهائيا في هذه المنطقة واصل الحرب ضد المصالح الأموية وتمكن من بسط نفوذه تماما على المغرب .

- وجه حملات للسيطرة التامة على مصر والشام وبنى القاهرة استعداد للرحيل.

- ولى على بلاد المغرب بلكين بن زيري ثم رحل لمصر سنة 362هـ.

المحاضرة 11: الدولة الحمادية (405هـ-547هـ):

اعتبر الفاطميون نجاحهم في تأسيس دولتهم بالمغرب بداية لتحقيق حلمهم في ضم العالم الإسلامي كله إلى سلطانهم، فما إن استقرت أقدامهم في بلاد المغرب الإسلامي حتى طمحت نفوسهم إلى فتح مصر وتم لهم ذلك في عهد خليفتهم الرابع المعز لدين الله مؤسس القاهرة ليتخذها عاصمة جديدة له

وكان المعز مطلعا على أحوال الأمازيغ، عارفا بأن قبائلهم الثلاث الكبيرة (كتامة وصنهاجة وزنانة) سوف تتنازع على الزعامة بعد رحيل الفاطميين إلى مصر وكان لابد أن يختار من كتامة أو صنهاجة زعيما يحكم البلاد في إطار التبعية للفاطميين.

وحين عزم على الرحيل إلى مصر سنة (360 هـ/ 972م) وقع اختياره على بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي فملكه على المغرب كله ما عدا طرابلس، وبذلك بدأ عهد الدولة الزيرية التي تفرعت عنها الدولة الحمادية.

1-تعريفها:

تنتسب الدولة الحمادية إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، وهي أول دولة محلية القيادة مستقلة عن الخلافة في المشرق قامت بالمغرب الأوسط، وتنسب إلى حماد بن بلكين بن زيري الذي كان قائدا عسكريا وسياسيا متميزا مكنته حنكته وجهوده من إقامة دولة قوية عاصمتها مدينة القلعة بعد إنفصاله عن الزيريين في إفريقية، وقد دامت هذه الدولة حوالي 142 سنة، أي من سنة 405هـ إلى غاية سقوطها على يد الموحدين سنة 547هـ.

2-نشأة وقيام الدولة الحمادية:

-كان قيام دولة بني حماد نتيجة الانشقاق الذي حصل في الأسرة الزيرية الحاكمة في عهد المنصور بن بلكين أمير الدولة الزيرية (386373 - هـ/983 - 996م) حين ثارت قبيلة زناتة، فقرر المنصور تعيين أخيه حماد بن بلكين على ولايتي المسيلة وأشير، وكلفه بمهمة قتال زناتة، فقاتلها حماد وأعادها إلى الطاعة وهذا ما أتاح لبني زيري أن يوسعوا ملكهم إلى المغرب الأوسط

- أبقى باديس بن المنصور (387 - 406هـ) عمه حماد بن بلكين على ولايته وعهد إليه أمر قتال زناتة التي ثارت ثانية عام 396هـ 1005/م، واعطاه حكم المغرب الأوسط وكل بلد يفتحه،

– بذل حماد جهدًا كبيرًا في محاربة الزناتيين والقضـاء على تمردهم، ثم شـرع ببناء مدينة القلعة عام 398هـ قرب مدينة أشير، وشيد بنيانها وأسوارها وأكثر فيها المساجد والفنادق، فرحل إليها طلاب العلوم وأرباب الصنائع من الثغور والبلاد البعيدة

– ثار حماد فيما بعد على باديس بعد أن طلب منه هذا الأخير التخلي عدة مدن عن تابعة له كمدينة قسنطينة.

–وفي عام 405هـ أعلن حماد استقلاله، وعقد الصلح سنة 408هـ مع المعز بن باديس، وذلك بعد عشر سنوات من العمل على تحقيق الاستقلال بدولته.

3–المجال الجغرافي للدولة الحمادية:

كانت الدولة الحمادية منذ تأسيسها إلى سقوطها تضم المدن والمناطق التالية:

قلعة بني حماد، المسيلة، طبنة، مزاب، اشير، تاهرت، مرسى الدجاج، بلد الزواوة، مقرة، بلزمة، وسوق حمزة، في عهد بلكين بن محمد خضعت مدينة فاس في المغرب الاقصى للسلطة الحمادية ، في عهد الناصر بن علناس توسعت الدولة الحمادية توسعا كبيرا حيث تم تأسيس مدينة بجاية و فتح كل من مدينة مليانة، نقاوس، قسنطينة، الجزائر العاصمة، بسكرة، صفاقس، قسطيلية، تونس والقيروان

أما في عهد الامراء الذين خلفوا الناصر لم يتغير الكثير سوى فتح مدينة عنابةفي عهد المنصور وخضوع أهل جربة في عهد العزيز، كما امتدت أطراف الحماديين جنوبًا في الصحراء الكبرى

4- مراحل وأطوار الدولة الحمادية:

يمكن تقسيم تاريخ الدولة الحمادية أو تاريخ دولة بني حماد في المغرب الأوسط إلى ثلاث مراحل من التأسيس إلى السقوط :حماد

أ-مرحلة التأسيس (398 - 441هـ) :وهو تاريخ تأسيس القلعة، مولد قوة بني ونموها في المغرب الأوسط، مرورا بنجاح حركته الاستقلالية سياسيا ومذهبيا عن الدولة الزيرية والخلافة الفاطمية ومذهبها الشيعي وإعلان ولائه للدولة العباسية اعتناقه للمذهب السني ابتداء من سنة 405هـ، مما نتج عن صراع دموي بين أبناء الأسرة الصنهاجية الواحدة (الصراع بين باديس وحماد)

ب-مرحلة التطور والبناء (441 - 481هـ) :بلغت فيها الدولة الحمادية أوج عظمتها اتساعًا وحضارة نتيجة للدور الذي لعبه الملك الناصر بن علناس الذي نقل العاصمة القلعة إلى بجاية سنة 460هـ .

ج-مرحلة الانحطاط والسقوط (481 - 547هـ) :فيها تقلص نفوذهم تدريجيا رغم نشاطهم البحري الكبير في ضد النورمان المسيحيين بقيادة روجر الثاني، وتميزت هذه الفترة باتساع نفوذ ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن علي في المغرب الأقصى، واتجاهه شرقا نحو المغرب الأوسط، والقضاء على الدولة الحمادية بشكل نهائي.

4-الجوانب الحضارية للحماديين:

كانت حضارة الحماديين شديدة التألق، فانجذب إليها العلماء والفنانون والطلاب من جميع الأقطار الإسلامية ومن أرويا المسيحية، وكانت بجاية والقلعة أهم مراكزها إشعاعا، نذكر أهم ميادينها

في نظام الحكم والسياسة :كانت الملكية الحمادية مطلقة ولكنها كانت مستنيرة تعمل لتوفير الرخاء والازدهار للشعب، ويستعين الملك على تسيير شؤون المملكة بوزراء متخصصين وبالولاة والقضاة والمفتين والقادة .

وكانت سياسة الحماديين في الداخل مبنية على التسامح الديني، وعلى إزالة الأحقاد بين طبقات المجتمع ويدل ذلك على معاملتهم الحسنة لقبيلة زناتة عدوتهم التاريخية ونبذهم التشيع للفاطميين إرضاء للشعب السني، وتساهلهم مع الخوارج، بل ذهب بهم التسامح إلى أبعد من ذلك حين أذنوا للمسحيين بإقامة كنائس لهم.

في الاقتصاد :عرف الحماديون أن قوة الدولة تتوقف على الحركة الاقتصادية، فنشطوا التجارة الخارجية والزراعة والصناعة، فأقاموا السدود وشقوا الترع، ونوعوا المزروعات وحسنوها، وخصصوا أماكن لغرس الأشجار المثمرة، ومناطق للرعي وتنمية الثروة الحيوانية كما شجعوا أصحاب الحرف وأسسوا المصانع الكثيرة لمختلف الأغراض، فاشتهرت دولتهم بصناعة السفن الحربية والتجارية واستخراج المعادن وسبكها، وبصنع الشمع والأدوية والعقاقير والأثاث الفاخر، والأواني

الزجاجية والفخارية والخشبية المزركشة بأبدع الخطوط العربية الملونة بالذهب والفضة والأصباغ المختلفة، حتى أصبحت تحفا فنية رائعة، وكانت الدولة تصدر كميات كبيرة إلى المشرق وأرونا من فائض منتجاتها الزراعية والحيوانية، والصناعية

في البناء :

شغف بنو حماد بالهندسة المعمارية شغفا عظيما، فأنشئوا المدن العظيمة لبجاية والقلعة، وأقاموا خلالها الحدائق الغناء والمساجد الفخمة، والقصور البديعة، ومن قصورهم التي تغنى بها الشعراء المنار اللؤلؤة، بلارة، أميمون الأمير، الكوكب، السلام " وقد تأثرت أوروبا بحضارتهم واقتبست عمارتهم وظهر ذلك واضحا في قصور بالرموز في صقلية

في الثقافة والعلم:

كانت رعاية بني حماد للثقافة منقطعة النظير في عصرهم، فانتشرت المدارس والمعاهد في طول المملكة وعرضها، واكتظت بالطلاب من مختلف الجنسيات وكان كبار العلماء يلقون المحاضرات بسخاء ويعقدون المناظرات تحت إشراف الملك والأمراء وكبار ورجال الدولة، فظهر بالجزائر الحمادية العديد من العلماء كابن النحوي و أبو علي حسن المسيلي والشاعر ابن رشيق القيرواني وابن حمديس الصقيلي وعبد الحق البجائي، ومن لأطباء علي ابن البذوخ الطبيب

كما عُرِفَ عن بجاية أنها "عاصمة الرياضيات" وذلك بفضل احتضانها لمعهد سيدي التواتي الذي كان بمثابة جامعة، ولم تُستثنَ الإناث من فرصة الدراسة فيه، ومنه أخذ الأوروبيون الأرقام العربية والجبر والمقابلة والهندسة، وكان لعلوم الشريعة المنزلة الأولى ثم تليها علوم العربية، وكانت اللغة العربية هي اللسان الرسمي للدولة ثم جاء العرب الهلاليون فقاموا بتعريب بلاد المغرب.

كانت المساجد والمعاهد العلمية حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وكان المذهب السني المالكي هو المذهب الرسمي للدولة الحمادية، وأصبحت بجاية مركزا حضاريا يأوي إليه الكثير من علماء المشرق أو المغرب، حتى أن أهل بيزا الإيطالية نزلوا إلى بجاية وتعلموا منهم صنع الشمع، ولا يزال مسمى الشمع عندهم بوجي (Bougie) وهو اسم الإفرنجي لمدينة بجاية.

ثالثا: الدولة الزيانية (633هـ-962هـ)

1- **تعريفها**:

دولة بني زيان أو الدولة الزيانية من أشـهر الدول التي حكمت تلمسـان، ودام حكمها أكثر من ثلاثة قرون، وتنسـب الدولة الزيانية إلى زيان بن ثابت بن محمدذ، وأول ملوكها وأشهرهم هو يغمراسن بن زيان الذي تولى الحكم سنة 633هـ ، وانتهت دولة آل زيان سنة 957هـ، بعدما عاشت 324 سنة، وقد اتخذت من تلمسان عاصمة لها.

تسـمى الدولة الزيانية أيضـا الدولة العبد الوادية وملوكها من بني عبد الواد؛ أحد بطون قبيلة "زناتة "العريقة، كانوا يسـتوطنون بين جبال سـعيدة شـرقا ووادي ملوية غربا، ومنهم فصـيلة توطنت في جبل أوراس وعبد الواد أصـلها "عابد الوادي" نسبة إلى جدهم الذي كان يتبتل بواد هناك.

2- قيام وتأسيس الدولة الزيانية

-تعتبر معركة العقاب سنة 609هـ ضد النصارى في الاندلس أهم العوامل الـتي أدت الى تفكك الدولة الموحدية التي كانت تسيطر على كامل بلاد المغرب الإسلامي.

- كان نفوذ السـلطة الموحدية قد ضـعف في إفريقية والمغرب الأوسـط، وتلاشـى شـيئا فشـيئا، حتى لم يبق بها من المناطق الخاضعة لسلطتهم إلا تلمسان وما يليها .

- بينما كان الحفصيون يقدمون على إلغاء تبعيتهم للموحدين بإفريقية، كانت مختلف القبائل الزناتيـة في المغرب الأوسط تقتطع أراضي التل الغنية، فاستقلت مغراوة بناحية شلف، واحتل بنوتوجين جبـل وانشريس، وبنو راشد الجبل الذي أصبح يحمل اسمهم، وبنو عبد الواد الأراضي التابعة لتلمسان.

- كان دخول بني عبد الواد تلمسان، سنة 627 هـ بقيادة جابر بن يوسف خطوة أولى نحو تأسيس دولتهم

- ثم آلت امارة بني عبد الواد بعد وفاة جابر، الى ابنه الحسن سنة 629 هـ، فأخيه عثمان (630 - 631 هـ) ثم الى ابن عمه زيدان بن زيان (633 - 631)واصـطدم زيدان بمعارضـة قوية من بعض عناصـر قبيلته، فحاربهم ولكنه قتل أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان (633 هـ) فخلفه أخوه يغمراسن.

- كان أول عمل سـياسـي قام به يغمراسـن أن أعلن اسـتقلال قبيلته بالحكم، مع الاعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية، فتأسست بذلك الامارة العبد الوادية سنة 633هـ.

3- حدود الدولة الزيانية:

شـغلت الدّولة الزيانية إقليم المغرب الأوسـط (إقليم دولة الجزائر حاليا)، وعمل حكامها بدءًا بيغمراسـن بن زيان على توسيع حدودها وتثبيت قواعدها وضم القبائل إلى سلطتهم

حدودها كانت تمتد من بجاية وبلاد الزاب شرقا إلى وادي ملوية غربًا، ومن ساحل البحر شمالاً إلى إقليم توات جنوبًا، وبقيت هذه الحدود في مد وجزر بسبب هجمات بني مرين غربًا وبني حفص شرقًا وكانت العاصمة مدينة تلمسان .

لم تكن حدود الدّولة الزيانية ثابتة ومسـتقرّة، بل كانت بين مد وجزر تبعًا للظروف السـياسـية والأخطار الخارجية، وكانت لا تتجاوز في بعض عهودها أسوار العاصمة تلمسان، مثلما حصل أيام الحصار المريني لها سنة 699 هـ إلى 706 هـ.

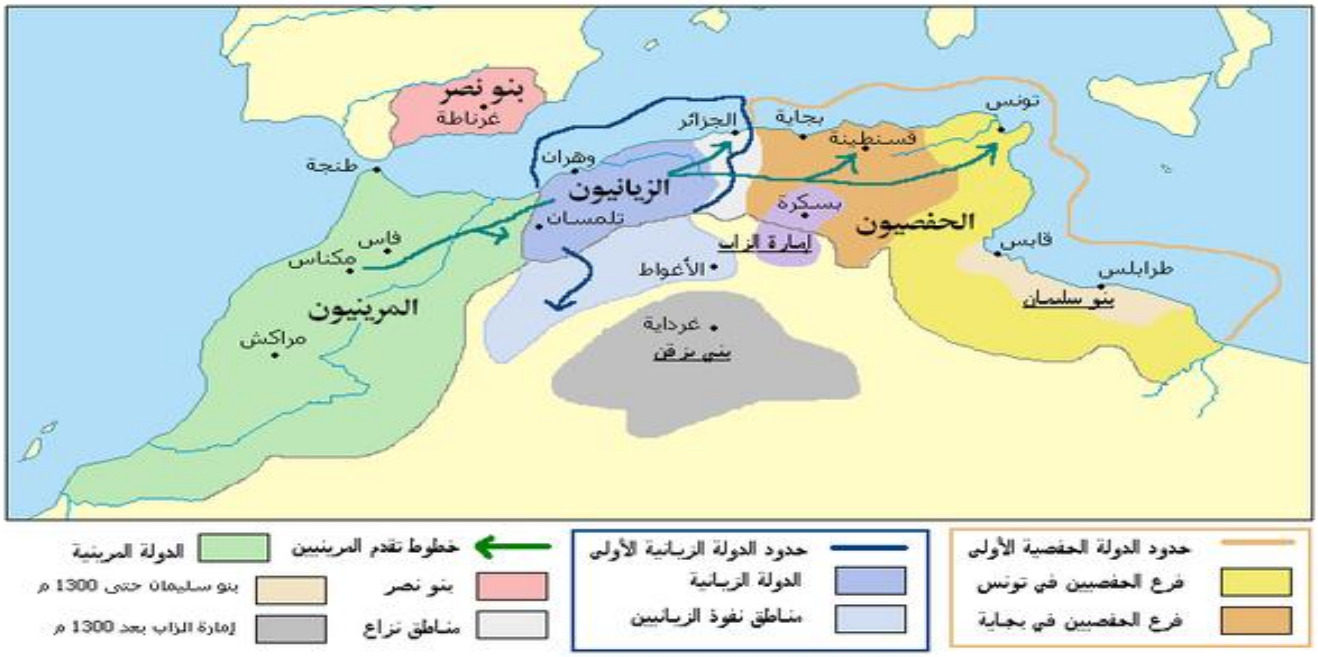

4- الجوانب الحضارية للدولة الزيانية:

الجانب الإداري:

اتخذ أمراء بنو عبد الواد لقب "أمير المؤمنين" وقسموا الإدارة إلى قسمين: الإدارة عسكرية، ثم الإدارة المدنية لتشرف على إقامة العدل والأمن وإدارة البلاد ويسمى الوزير المشرف على ذلك "صاحب القلم" وتحت سلطته كان يوجد "صاحب الأشغال" وهو لكلف بالأعمال المالية.

كان من أكبر دواوين الدولة يومئذ "ديوان الإنشـاء" المكلف بالمراسـلات العامة وكان يتولى السـلطة الإدارية في كل مدينة "الحافظ" والسلطة القضائية "المحتسب "وقاضي الجماعة المستقر بتلمسان الذي كان يرأس الهيئة القضائية كلهـا وهو الذي يعين قاضي الحضرة المكلف بالقصر السلطاني وقاضي الجند.

الجانب العلمي والثقافي

شهدت تلمسان خلال العهد الزياني حركة فكرية وثقافية لا مثيل لها وذلك نتيجة لتشجيع سلاطين الدولة الزيانية للعلم والعلماء، وكذا حرص سلاطين بني زيان وفقهاء مدينة تلمسان على تمتين العلاقات مع أهل المغرب خاصة والمشرق والأندلس عامة من خلال التواصل الفكري والثقافي بين هذه البلاد وغيرها، يضاف الى ذلك المنافسة التي كانت قائمة بين عواصم المغرب الإسلامي الأربع :تلمسان وتونس وفاس وغرناطة.

–تعد المراكز التعليمية أو المؤسسات الثقافية التي شهدتها تلمسان في العهد الزياني من أهم مظاهر الازدهار الثقافي والفكري باعتبارها حاملة لمختلف العلوم وجالبة العلماء وطالبي العلم، ومن هاته المؤسسات:

المساجد كمسجد سيدي ابي الحسن التنسي، والجامع الأعظم، والمدراس كالمدرسة التاشفينية ومدرسة ابني الامام، والزوايا مثل الامام محمد السنوسي وزاوية العباد، كما أولى حكام بني زيان عناية كبيرة لإنشاء المكتبات العامة والخاصة وتزويدها بالكتب الضرورية قصد إقامة نشاطات تعليمية وعلمية مثل المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني عام 760هـ والتي يتواجد بها عدة مخطوطات مثل كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان للحافظ التنسي.

الجانب الاقتصادي:

تميزت البنية الاقتصادية للدولة الزيانية، بتلك الإمكانيات المتنوعة التي شكلت دعائم قوية للقطاعات المنتجة التي شملت الزراعة والصناعة وسائر الأنشطة التجارية الأخرى، وكشفت هذه الإمكانيات عن حيوية الموقع، و وفرة مصادر المياه، وجودة التربة ، وتنوع المناخ، وبعض النظم المحكمة المتعلقة بكيفية إستغلال الأرض الزراعية (مزارعة ، مغارسة، مساقاة) وطريقة سقيها على وفق ما تقتضية الشريعة الإسلامية و ما تمليه عادات المجتمع التلمساني وتقاليده ، إلى جانب التنظيم الجيد لظاهرة الرعي وتربية الماشية ، كمصدر من مصادرة الثروة .

كما شهد القطاع الصناعي ازدهارا كبيرا، بسبب الاهتمام المتزايد لسلاطين الدولة، ووفرة المواد الخام وتنوعها، وما اكتسبه الصناع من خبرات اضافية بفضل الهجرة الأندلسية إلى مدن المغرب، حيث كان ذلك عاملاً مشجعا على وفرة الانتاج وتنوعه، وشكل قاعدة جديدة لبداية ترويجه وتسويقه.

ونظرا لخصوصية الأوضاع السياسية والأمنية التي سادت بلاد المغرب ، فقد حرص سلاطين الدولة من بني زيان على توفير الأمن والاستقرار، وتأمين طرق النقل والمواصلات والضرب على أيدي كل من تسول له نفسه الاعتداء على الأموال والقوافل، من القبائل المعارضة للسلطة وقطاع الطرق ، فاستحدثوا تنظيمات جديدة (الرتب ، الغرباء) وفتحوا

المجال لإقامة علاقات تجارية متنوعة بين الشـــمال والجنوب وداخل مدن الدولة وإلى جانب العناية الخاصـــة بالتجارة الخارجية فقد توفرت للنشاط التجاري الأسواق الداخلية ، التي حضيت بعناية خاصة من قبل السلطة الحاكمة في حاضرة الدولة بيعا وشـراء، وذلك بتنظيمها وحسـن إدارتها ، من خلال توزيع الأسـواق حسـب طبيعة نشـاطها ، وإقامة الفنادق وتجديدها خدمة للتجار والغرباء، مع تفعيل دور المحتسب، وتحديد نظام التسعير لوضع حد لكل أشكال الغش والتدليس ، والمضاربة في السلع والأسعار.